السُّلطة والتحيّزات النسقية في السرد الروائي (النسق المدني والنسق الريفي)

Power and the theme biases in Narrative (Civil and rural patterns)

د لؤي. علي خليل/ كلية الآداب/ جامعة قطر – قطر

Loui Ali Khalil/College of Literature/Qatar University

المرسل : loui.khalil@qu.edu.qa – تاريخ الإرسال: 30 /5 /2020 تاريخ القبول 2020/06/01 تاريخ النشر 15 /2020/06

E . ISSN : 506-2602X
ISSN : 2335 - 1969
الصفحة من : 215 إلى 232

الملخص :

تتعلق هذه الدراسة بـ(مجتمعات الخيال السردي)، ويرتبط موضوعها الأساسي بالمدينة النصية، بصفتها تُمثّل شكلاً من أشكال الوعي بالمدينة الواقعية. والهدف الأساسي لها هو الكشف عن التحيزات التي يضمرها النسق المدني تجاه النسق الريفي بصفته ممثلا للسلطة.

واشتغلت الدراسة في مقارباتها التطبيقية على عدد من الروايات التي كُتِبَت بعد انطلاق الثورة السورية، وأبدت في نسيجها الحكائيّ مواقف تعكس في بنيتها العميقة اشتباكاً واضحاً بين الريف والمدينة بصفتهما نسقين ثقافيين مركزيين يسيطران على مجمل حركة المحكي الروائي.

الكلمات المفاتيح: المدينة النصية، التحيزات الثقافية، النسق المدني، النسق الريفي، السلطة، رواية الثورة السورية

Abstract

This study is within the framework of narrative fiction communities, and its theme linked to the textual city, as it represents a form of awareness of the real city. The main objective is to detect the biases of the civil pattern towards the rural pattern as a representative of the authority.

The study worked in its applied approaches to a number of novels written after the beginning of the Syrian revolution, and showed in its anecdotal fabric positions reflection its deep structure a clear clash between the countryside and the city as two central cultural patterns that dominate the entire movement of the storyteller.

Keywords:

The Text city, Cultural Biases, Civic Style, Rural Style, Power,

تقع هذه الدراسة ضمن ما يسمى (مجتمعات الخيال السردي)، ويرتبط موضوعها بالمدينة النصية، بصفتها تُمثّل شكلاً من أشكال الوعي بالمدينة الواقعية. والهدف الأساسي لها هو الكشف عن التحيزات التي يضمرها النسق المدني تجاه النسق الريفي بصفته ممثلا للسلطة.

واشتغلت الدراسة في مقارباتها التطبيقية على عدد من الروايات التي كُتِبَت بعد انطلاق الثورة السورية[1]، وأبدت في نسيجها الحكائيّ مواقف تعكس في بنيتها العميقة اشتباكاً واضحاً بين الريف والمدينة بصفتهما نسقين ثقافيين مركزيين يسيطران على مجمل حركة المحكي الروائي.

والقصد من النسق (المدني أو الريفي) "الثقافة السائدة للجماعة في الحيّز الذي يشغله النسق؛ من حيث شبكة العلاقات المعقدة التي تحيا بها، وآليات تفكيرها، ومرجعياتها، ومعاييرها، وبديهياتها المسلكية، وقيمها التي تحتكم إليها، وطريقة حياتها اليومية"[2].

تعد الدراسة إضافة إلى الدراسات التي تهتم برصد صورة المجتمع السوري وطبيعته إبان حكم حزب البعث، غير أن ما يميزها أنها ترصد هذه الطبيعة من وجهة نظر سردية محض يختلط فيها الذاتي بالموضوعي. وبناء على هذا التصور تقع الدراسة على تخوم علم الاجتماع الأدبي، ذلك أنها ترتكز على محورين: المجتمعات النصية في المتون السردية من جهة، والمجتمعات البشرية في المدينة الواقعية من جهة أخرى.

وقد لاحظت الدراسة بعد الاطلاع على عدد من روايات المرحلة المعنية أن مجمل النصوص تتبنى وجهات نظر متحيّزة لصالح النسق المدني ضد النسق الريفي؛ لأسباب معقدة ومتشعبة، بعضها يتعلق بالفارق الثقافي بين النسقين، وجلُّها يتعلق بنوع العلاقة التي تربط أياً منهما بالسلطة الحاكمة، وعلى ذلك جعلت الدراسة هدفها الأساسي تبيان هذه المواقف والكشف عن مرجعياتها وأسبابها ضمن الفضاء السردي التي تتيحه العينة المختارة.

ركزت الدراسة على رواية (لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة) لخالد خليفة بِعدِّها المدوَّنة الأساسية لعملها التطبيقي، وأضافت إليها، بين حين وآخر، أمثلةً من روايتين في السياق نفسه، هما: (عمت صباحاً أيتها الحرب) لمها حسن، و(نظرات لا تعرف الحياء) لمحمود الجاسم، وذلك لتأكيد فكرةٍ/مشهدٍ عند اقتضاء الحاجة.

تكشف رواية (لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة) منذ صفحاتها الأولى عن موقف متحيز تتبناه جماعة المدينة تجاه الريف؛ ويتمثل ذلك في رفضها الحاد لكل تمثيلات النسق الريفي، وكل (ما، ومَن) ينتمي إليه، بل وكل من يدخل في علاقة معه؛ مما يجسد موقفًا نسقيا ثقافيًا حادّا.

ويتجلى هذا الرفض في عدة أشكال:

_ فتارةً **يشوِّه** النسقُ المدني صورةَ الجماعة التي تمثّل النسق الريفي؛ لتبدو جماعةً غير بشرية غير إنسانية؛ ليسوّغ النسقُ المدني مبدأ رفضه لها، ولذلك صوّرت الأمّ (الشخصية المحورية

للعائلة) نساء الريف على أنهن لا يلدن أولادهن باحترام يليق بولادة كائن بشري، فصمّمت على ألا تلد ابنها " **كفلاحات ميدان أكبس، حين يأتيهن الطلق، يتمددن بهدوء في حقول الرمان ويلدن، بمساعدة رفيقاتهن، يقطعن حبل السرة بسكين متثلّمة، أو حجر، ويكملن أحاديثهن عن مواعيد الحصاد القريبة.**"[3] ففعلُ الولادة بحد ذاته لا قيمة له لدى الجماعة التي تمثّل النسق الريفي، إذ يبدو كأي فعلٍ عادي يجري كل يوم، تلد المرأةُ ابنَها ثم تلتفت إلى صديقاتها، فتكمل الأحاديث التي كانت قد ابتدأتها قبل الولادة، مما يسلب الكائن البشري خصوصيته واحترامه إنساناً أو كائناً حياً.

_ وفي أحيان أخرى يبدو النسق الريفي في مخيال النسق المدني **أنموذجاً للتخلف** والبعد عن منجزات الحضارة التي حققها النسق المدني نفسه، ففي رواية (عمت صباحاً أيتها الحرب) تنفعل (نائلة) في وجه ساردة الحكايات (مها): "**قَدِّري الظلمَ الذي وقع عليّ؛ أنا أضع الحجاب بطريقة قديمة، كأنني في قرية نائية... أبدو كامرأة تركية قادمة من قرى أورفا البعيدة، ببشرة باهتة، ودون مال لتسريح شعري حتى، أو شراء العطور**"[4]، فالفتاة الريفية، وإن لم يكن لها وجود عيانيّ في النص السابق، فإن وجودها في تصورات أبناء المدينة دال على قيمتها عندهم؛ فهي لا تهتم برائحتها، ولذلك لا تقتني العطور، ولا تهتم بصورتها الخاصة، فتترك شعرها بغير تسريح، ولا تهتم بصورتها العامة، فلا تحسن ربط الحجاب بطريقة عصرية حديثة!!

وفي رواية (نظرات لا تعرف الحياء) يدور حوار بين اثنين من أبناء المدينة، يصفان سلوك أبناء الريف في الأعياد الوطنية:

"–حشكل...! يدربكوا مثل النَوَر

–حوش...يرددوا الشعارات ويطبّلوا ويصرخوا... كأنهم دوابّ

...كان أهل المدينة يغلقون محلاتهم أيام المسيرات في الغالب"[5].

فأبناء الريف ليس لهم من الإنسانية إلا الاسم، ويتدرجون بين (حشكل/ نَوَر/ دواب)، و(الحُشكل) صفة تستعمل في حلب لاجتماع كل أنواع الوَضاعة، وأما (النوَر) فشريحة اجتماعية منبوذة تعيش عادةً على هامش المدن، وترتبط في المخيال المدني بالخروج على الأعراف والتقاليد الأخلاقية والاجتماعية والقانونية، وأما (الدوابّ) فأدنى الحيوانات مرتبةً، فلا تطلق عادة على السباع ولا الحيوانات الكبيرة، بل تطلق على البهائم. وبسبب من هذا التصور المدني للنسق الريفي يغلق أبناء المدينة محالهم عند المسيرات؛ حتى لا يجتاحها النسق الريفي، فيصيبها شيء من سوئه.

_ وقد يشير النسق المدني إلى الحيز الجغرافي للنسق الريفي على أنه **مَجلبة للعار الأخلاقي**، وأي تماس معه قد يصم صاحبه بِعارٍ لا يُمحى؛ ولذلك كانت الأم تحذّر ابنها من "**أن رجالا غليظي الشوارب يتربصون بالأطفال الصغار الغضّين كأوراق الخس، لاغتصابهم في حقول الكرز الموحشة**"[6]. ففعل (الاغتصاب / العار الأخلاقي) لا يكون إلا في (حقول الكرز / الحيز الريفي)، ليصبح الريف في ذهن الطفل نسقاً لا أخلاقياً، وكان من الممكن أن تشير الأم إلى الحارات البعيدة، أو البيوت المهجورة، أو تحذر أبناءها من الغرباء عامةً! ولكن تخصيصها فعل الاغتصاب بحقول الكرز يحمل دلالةً متناقضة ذات تشويش عال؛ فحقول الكرز صورة تستدعي الإحساس الجمالي المشهدي (حاسة البصر)، والإحساس الجمالي الحسي (ذائقة الطعم)، كما أن الذاكرة الثقافية الجمعية تربط صورة (حقول الكرز) بكل ما هو جمالي، ولكن ارتباطها في السرد بفعل الاغتصاب فرّغ الصورة من محتواها، ومارس عليها عنفاً دلاليا طارئاً، نقلها من الجمال إلى القبح.

_ وقد يكون من أسباب رفض النسق المدني للنسق الريفي اتهام الأخير **بتشويش النظام** الذي أسسه النسق المدني لجماعته؛ فقد اشتكت الأم نفسها لصديقتها "**أن السير في الشوارع أصبح مرعباً، وروائح الريفيين تعبق في الجو وتفسد هواء مدينتهما**"[7]. فهواء المدينة كان نقياً قبل دخول أبناء الريف إليها، ولكنه فسد بعد دخولهم، وهذا يثبت_ من وجهة نظر النسق المدني_ أن أيَّ تمثُّل لأثر من آثار النسق الريفي، ضمن الحيز الجغرافي للنسق المدني، سيعطل النظام ويفسده، ولذلك لا مناص من محاربته ورفضه.

_ ولكي يقطع النسق المدني الطريق على أية محاولة لرأب الصدع بين النسقين، أو إجراء نوع من اللُّحمة والتناغم بينهما، أو مد الجسور بين الثغرات القائمة بينهما، يسارع إلى التلويح بعقوبة **(الخلع)**[8]، وهي عقوبة أقسى من الإقصاء؛ لأنها تتعلق بحكم قيمة اجتماعي وأخلاقي، وذلك من خلال التعامل مع الفرد على أنه قد تحوّل من الانتماء إلى جماعة المدينة إلى الانتماء إلى جماعة الريف؛ أي إنه غادر نسقه إلى نسق آخر، مما سيدفع جماعة المدينة التي كان ينتمي إليها إلى أن تتعامل معه من الآن فصاعداً كجزء من النسق الريفي.

وهذا السلوك شديد الوقع على أي فرد من أفراد جماعة المدينة؛ لأنه يعرف، تمام المعرفة، أحكام القيمة التي يُكنّها النسق المدني تجاه جماعة النسق الريفي؛ فأم الراوي حين تجاوزت تحذيراتِ أهلِها (جماعة المدينة)، وارتبطت برجل من الريف، عوملت معاملة الكائن النجس، فكانت حين "**تعود في زيارات قصيرة إلى منزل أهلها، تحس بنظرات ابتهال المتشفّية، تأمرها بالدخول**

فوراً إلى الحمام، كأنها امرأة جرباء، تنبهها إلى يديها الخشنتين، وألبستها التي تصفها بقسوة وسخرية بألبسة الفلاحات والمتشردين، تتحدث بقرف عن مخاط أولادها"[9].

وهكذا لو تجرأ أحد من جماعة النسق المدني على العبور إلى الطرف الآخر، نحو النسق الريفي، فإن مصيره سيكون العزل والخلع، كأنه بعير أجرب، ولن يتم التعامل مع هذا المنشق _ناهيك عن قبوله_ إلا على أساس أنه قذِر ينبغي تطهيره.

وأثبتت هذه الآلية من الخلع جدواها؛ فالأم التي عانت من الموقف القاسي للنسق المدني من خطوتها الجريئة، حين مدّت جسورها وارتبطت برجل من الريف، سرعان ما انقلبت على جسورها التي بنتها فحطمتها، وسعت لتحطيم أي جسر قد يربط أبناءها بالريف الذي جاء منه أبوهم، وإليه يعود نسبهم، إذ يصف ابنُها/الراوي سلوكَها تجاه تغيير لهجته: "**لم تعد أمي تكترث لبقايا لهجة ميدان أكبس الريفية في لغتي، تركتني لمصيري بيأس، مرددةً أن المدينة ستغزوني وتهزم الريفي في داخلي**"[10]. فحين يئست الأم من تأثيرها الذاتي، تركت ابنها لسطوة النسق المدني، وهي على ثقة أن معايير النسق وقواعده ستجبر ابنها على خلع عباءة الريفي من لسانه وعقله. ولعل من المهم الانتباه إلى التعبير الذي استخدمته الأم، حين وصفت ما ستفعله المدينة بالإرث الريفي لدى ابنها، على أنه: **(غزو)!!**

– لعل تساؤلا مثيراً ينهض بعد المرور على سيل الاتهامات التي يكيلها النسق المدني للنسق الريفي: ما الذي طرأ على نمط العلاقة بين النسقين حتى يأخذ الاختلاف بينهما هذا الشكل الحاد؟ ألا يقوم الخلاف بين المدينة والريف في كل مكان يحضران فيه؟ ألم تشهد الأدبيات الإنسانية التراثية والمعاصرة تدويناً لمثل هذا النوع من الاختلاف؟ ألم يتجاور النسقان قديماً وحديثاً على الرغم مما بينهما من تباين؟ ما الذي تغير إذن ودفع (الجارين/بالحيز) إلى هذا العنف المضمر والمعلن؟

لا يمكن الوصول إلى إجابة عن هذه التساؤلات مالم نفهم التحول الذي طرأ على العلاقة بين النسقين (المدني والريفي) إبان ظهور حزب البعث الحاكم في سورية!

فقبل ظهور الحزب يمكن النظر إلى العلاقة بين النسقين من زاوية (المتن والهامش) أو (المركز والطرف)؛ على أساس أن النسق المدني يمثل المتن أو الثقافة الرسمية، ويمثل النسق الريفي هامش هذه الثقافة، إذ تجسد أغلب أنماط التعايش بين هذين النسقين، أينما حضرا، هذا الشكل من العلاقة نفسه، أو ما يشبهه.

فمن دلالات هذه العلاقة أن النسق المدني يترك للنسق الريفي حرية الحركة، وممارسة علاقاته الخاصة، وطريقته في الحياة، ولكن ضمن حيّزه الخاص، خارج حدود الحيّز المدني، فهو بذلك لا يمارس عليه قهراً ثقافياً، بقدر ما يمارس قهراً جغرافياً، فيحرمه من مد جذور نسقه ضمن المدينة، ويقيده في القرى والأرياف.

وقد يكون لهذا النمط من العلاقة ما يبرره، ضمن ثقافة تؤمن بمركزية المدينة، كما هو الحال في معظم البلاد التي تَمثُل فيها العلاقة بين المدينة والأرياف بصفتها علاقة بين مركز وأطراف.

والمسألة الأهم في هذا النمط من علاقة **المُحاصصة** أنه نمط تحضُر فيه كل إمكانيات التعايش، لأنه يسمح لكلا النسقين بالوجود ضمن حيّزهما الطبيعي؛ فالنسق المدني يحقق وجوده كاملاً ضمن حدود حيّزه، وليس له سلطة خارجها، وكذلك الأمر بالقياس إلى النسق الريفي الذي يحقق وجوده ضمن حدود حيّزه، ولا يتجاوزها إلى ما عداها. وهذا التعايش هو الذي كفل للنسقين بالتعايش التاريخي أينما وجدا.

وفي مثل هذا الشكل من التعايش، حتى إن امتدت ملامح أحد النسقين خارج حدوده الجغرافية، ووجدت لها مكاناً داخل الحيز الجغرافي للنسق الآخر، فإن وجودها لن يشكل تهديداً للنسق المُضيف؛ لأن حضورها الكمي والنوعي سيكون من الضآلة بحيث لن يشوش على وظيفة النسق المضيف، فتحضر فيه، إذ تحضر، على شكل جزر معزولة عن المحيط، تتأثر بما يجاورها، ولكنها لا تؤثر فيه، لأن الوظيفة الأساسية للنسق المضيف تفرض عليها علاقة ذات اتجاه واحد فحسب.

غير أن ما حصل إبان ظهور حزب البعث قلب قواعد اللعبة_ إن صح التعبير_ وغير الحدود بين الحيزين والنسقين، إذ اعتمد الحزب في بدايات انطلاقه على الحاضنة الريفية لسهولة النفاذ إليها، ثم انتقل بحاضنته تلك من نسقها الريفي إلى قلب المتن وسيطر عليه، ولكنه لم يدفع النسق المدني إلى الهامش؛ كشكل من أشكال تبادل الأدوار بينهما، بل أبقى النسق المدني في المتن تحت رحمته، ومارس عليه حالةً من حالات الاستعمار. وبناء على ذلك لم تعد العلاقة بين النسقين علاقة هامش بمتن، أو علاقة مركز بطرف، بل أصبحت علاقة مستعمِر بمستعمَر، أو علاقة عبد بسيد، وبذلك لم يمارس الحزب قهراً جغرافياً على النسق المدني فحسب، بقدر ما مارس عليه **قهراً ثقافياً**.

ولذلك بدا واضحاً من خلال استقراء الفضاء السردي للروايات المعنية أن المحرك العام لسلوك جماعة المدينة، والمسوّغ الأساسي الذي تحاول الجماعة من خلاله أن تبرر مواقفها تجاه النسق

الريفي يكمن في عد هذا النسق (النسق الريفي) **أيقونةً تمثل السلطة الحاكمة (حزب البعث)**، ولا تستطيع الجماعة بأي حال من الأحوال أن تفصل بينهما، كأنهما وجهان لعملة واحدة، فحزب البعث جاء إلى المدينة بصفته مكوِّناً ريفيًا، يعبّر عن الريف ويتبنّى نسقه الثقافي، ولم يستطع _بل ولم يحاول محاولةً جادةً_ أن يجد لنفسه مكانًا في النسق المدني، أو على أقل تقدير أن يُنتج توازنات _من أي نوع_ بين أفكاره وأفكار النسق المدني نفسه؛ إذ "**شكل حزب البعث خلايا حزبية في العديد من القرى قبل تسلمه السلطة، وبذلك كان حكمه قد تثبت، واعتمدت الثورة على الارتباط بإنعاش قاعدته الريفية وانتشارها... ويبدو أن البعث قد اخترق المجتمع الريفي بنيوياً، ولكن بأية عواقب على تماسك النظام وتشكيل الدولة؟**"[11].

وقد أشار غير باحث إلى أن البدايات التأسيسية لحزب البعث العربي كانت تعتمد أساساً على الريف؛ غير أن "**حقيقة أن الكثير من البعثيين الأوائل كانوا من الأقليات وأبناء الريف قد شكلت فيما بعد عائقا اجتماعيا أمام انضمام أبناء المدن... وذلك بسبب التناقضات التقليدية بين المجتمعات الريفية والمدينية**"[12]. فالبيئة الحاضنة في الريف أسهل انقياداً للحزب من البيئة المدنية؛ ذلك أن "**الشروط الاجتماعية في الريف مؤاتية لنشوء الحزب وامتداده، فتضخَّم فيه وظل هزيلاً في المدن**"[13].

وحتى لو حاول بعض الباحثين أن يعلل علاقة التنافر بين حزب البعث والنسق المدني من جهة، وعلاقة التجاذب بين الحزب والنسق الريفي من جهة أخرى، بالقياس إلى فوارق اقتصادية وطبقية بين النسقين، على أساس أن "**مبادئ الحزب الاشتراكية قد سهّلت رسوخه بالقرى والمناطق الريفية الفقيرة المحرومة، بعكس الحال في المدن الكبرى التي يسيطر على مسرحها السياسي التجار والبرجوازيون المحليون. ونظرا لأن الأقليات الدينية المتحدثة بالعربية تتركز أساساً في المناطق الريفية... فإنه من المنطقي أن يكون أعضاء الأقليات هم المسيطرون داخل حزب البعث**"[14]. يمكن القول إن هذا التعليل قد لا يصمد طويلاً لتفسير استمرار الاشتباك الحاصل بين الحزب والنسق المدني، بعد أن غزا حزب البعث أسوار المدن، وضم شرائح مختلفة من سكانها وأبنائها!!

وفي هذا السياق المتعلق بالتنافر البنيوي بين حزب البعث والنسق المدني تبدو شهادة سامي الجندي _أحد أعمدة الحزب في بدايات تأسيسه_ مهمةً ودالّة، إذ يحاول الجندي (في نص أخّاذ) أن يعلل ويفسر العلاقة الغريبة بين الحزب والمدينة، فيرى **أن حتمية العمل السياسي الجدي**[15]:

" كانت تقضي ...ترسيخ الحزب في دمشق والسيطرة على قواها الشعبية قبل الانتقال إلى مدى آخر، ولكن الحزب كان مستعجلاً يبحث عن غنيمة سهلة، والعمل في دمشق عسير. إنها مدينة التاريخ العربي، لا تُسلم قيادها إلا لعاشق على قد فتنتها: مدينة الانتظار؛ تستأني وتتريث، ثم تتمنّع فترفض أو تقبل؛ رفضها يعني استحالة الاستمرار، قبولها يعني دخول التاريخ من أوسع أبوابه...خطيئة البعث المميتة أنه شتت قواه حينما كان ينبغي عليه أن يركزها أولا في دمشق، غير أنه استصعب إقناعها، وارتضى لثورته قناعة المناضل الكسول.

لم يدرس البعث بناء دمشق الاجتماعي الذي تكوّن خلال آلاف السنين فبات إرثا عضويا. قنع البعثيون أن دمشق لا يمكن أن تكون بعثيةً فأقاموا بينهم وبينها جداراً من المستحيل.

...وراء تكوين هذه المدينة التجاري عفوية عشائرية، وتقييم أخلاقي للإنسان، يجعل من العلاقات بين الأفراد تقاليد إنسانية شبه دينية، إذا زالت زال معنى دمشق...ليس سهلا أن تنتزع منها تقاليدها، أو تنتزعها من ماضيها القديم، لتقنعها بنظرة جديدة للحياة، رغم أنها عطشى لكل جديد، تتقبله إذا كان صادقاً. طبيعتها طبيعة مؤمن حقيقي، يبطئ حتى يقنع، فإذا فعل تشبث، فعاش بعقيدته الجديدة ولها.

سهل قياد دمشق صعب، إنها تعيش دائمًا على انتظار إيمان كبير، تحقق فيه ومعه وجودها ومعناها التاريخي، تظنها ماتت، فما تجس نبضها حتى يفاجئك بطاقة عجيبة على الحياة، تهدأ حتى لتظن أنها قبر، ثم تنتفض فتجد الطغيان تحت قدميها.

لم يدرك البعث سر دمشق، ظنها حجارةً وأبنيةً وشوارع سابلةً، لم يهتم بالنواة القوية، قنع بظروفه وإمكاناته، لم يتحدّ الصعب، وجد أن عناصره الأولى ريفية عائدة إلى الريف بعد الدراسة فترك الأمور تسير على هواها دون ضابط"[16].

ومع أن سامي الجندي يتكلم على مدينة دمشق فإن من الممكن تعميم التجربة لتشمل حلب وباقي المدن السورية الكبرى أيضا؛ لأن الجندي يتحدث عن دمشق بصفتها نسقًا مدنيًا، شأنها في ذلك شأن حلب، ولذلك أخذ على الحزب أنه لم يحاول أن يكتنه سرها، لم يحاول أن يدرك طبيعة العلاقات التي تنظم الحياة بين أفرادها، لم يدرك علاقاتها التاريخية المتجذرة مع الماضي، وانفتاحها على المستقبل، لم يدرك أن المدينة لا تكتسب وجودها ومدنيّتها من حيزها الجغرافي، بل من نسقها الثقافي الذي إذا زال زال معنى المدينة كله.

ولأن بنية حزب البعث تتعارض مع كل ما من شأنه أن يمثّل النسق المدني بَنَت جماعة المدينة موقفها منه؛ ولذلك لا يحضر حزب البعث في الرواية إلا ويحضر معه النسق الريفي، ضمن سرد يعبر بوضوح عن موقف جماعة المدينة منه، من خلال تشبّع المشاهد التي تعبر عنه بلغة سردية مشحونة بأحكام قيمة سلبية؛ ففي مشهد دال يصور فيه الراوي التحول الذي طرأ على منزل عائلته فيقول: "**لم يطل هدوء المنزل، أحاط به صراخ إخوة الرفيق فواز وأصوات أغنامهم والماعز، التي احضروها معهم من القرية، بنوا قناً كبيرا للدجاج، قبل أن يتوزعوا الغرف الكثيرة، زوجات الإخوة الريفيات يقضين نصف نهارهن في قلي الباذنجان صيفا، ومسح مخاط أولادهن الكثيرين الذين يستعذبون ضرب الأرض بأقدامهم، مذكرين الرفيق فواز الأخ الأكبر أنهم على خطاه في تمجيد القائد، مساء ينشدون كجوقة أغاني الحزب وسط ضجيج ثوري ملتهب، لا يكتفون بالإنشاد بل يرفعون صوت مسجلة تبث خطابات الرئيس ويهتفون له مع الجماهير، ضجيجهم يشعر أمي بالإحباط**"[17]. وفي مشهد آخر يصور الراوي حواراً جرى بين أمه وأبيه فيقول: " **تهذي أمي بكلمات بذيئة، تمسك بيد أبي، تتسرب حرارة كفه إلى قلبها، اكتفت بتذكيره أن الموت أفضل من العيش تحت إمرة ضباط ريفيين حمقى لا يفرقون بين عطور السوسن ورائحة اليقطين**"[18].

وحتى أبناء الريف أنفسهم يدينون للحزب بهذا الفضل، ويرونه مخلّصاً نقلهم من ظلام الجهل إلى نور المعرفة، ومن الهامش إلى المتن؛ وهذا ما عبر عنه أبو حازم في رواية (نظرات لا تعرف الحياء) وهو يخاطب ابنه حازم عن فضل (حافظ الأسد) عليهم: "**هذا أبو سليمان، هذا حافظ العهد، القائد الاستثنائي، هذا أبو الفلاحين... لولا الرفيق أبو باسل ما تعلّمنا ودرسنا وحطينا كرافيتات**".[19] فارتداء الكرافيتات عند أبي حازم كنايةٌ عن الترقي في السلم الاجتماعي، فأهل المدن هم الذين يلبسون الكرافيتات عادة، بينما يميل أهل الريف والقرى إلى ارتداء الثوب. وفي هذا النص إشارة واضحة إلى أن أبناء الريف يرون في القائد الممثل للحزب منقذاً نقلهم من مرتبة اجتماعية دنيا إلى مرتبة اجتماعية عليا.

_ولأن جماعة المدينة تنظر إلى النسق الريفي بصفته ممثلاً لأفكار/أيديولوجية حزب البعث، ولأن حزب البعث قدم نفسه بصفته الوجه الريفي للحكم، فإن النسق الريفي بالضرورة سيتحمل كل تبعات هذا التوحد بينه وبين الحزب.

فسيتحمّل كل الخراب الذي حل بالحيّز الذي يشغله النسق المدني، ولذلك كانت الأم –سيدة المنزل بسبب غياب الأب– تمنع أولادها من جلب أصدقائهم إلى البيت، فيضطرون إلى الخروج

لرؤيتهم خارج حدود المنزل؛ لسبب واحد يعبر عنه الراوي بوضوح إذ يقول: "**أخرج مع رفاقي الذين تمنعهم أمي من زيارتي في المنزل؛ كي لا يلوثوا قماش الكنبات، أشتم صمت منزلنا المريب وهوس أمي بتعقيم كل شيء، الأواني وكؤوس الشاي، الممرات والأسرة والمخدات، الثياب والأحذية في رحلة شك لا تنتهي بأن كل شيء في الخارج ملوث**"[20]. فلأن الخارج ملوث لم يكن من سبيل للأم لحماية أبنائها إلا أن تحافظ على نظافة حيّزهم الداخلي؛ حتى لا يصيبه ما أصاب الخارج من تلوث.

ولم يكن هذا الأمر إحساساً ذاتياً طارئاً، أو مؤقتاً خاصاً بالحيز الذي تسكنه الأم، بل هو عام بحيث يشمل المدينة كلها، ولذلك كانت تجتمع أم الراوي مع صديقة عمرها (ناريمان) فـ" **تتشكيان طوال الوقت، وتتشاركان حديثاً مفضلاً ومفردات غامضةً عن تحول مدينتهما الرائعة إلى خربة تفوح منها رائحة العسكر والرفاق الحزبيين**"[21]. فهو إحساس عام إذاً ينظر إلى النسق الريفي/الممثل للحزب الذي انتشر في المدينة على أنه جلب معه الخراب.

حتى إن شخصيةً كـ(رشيد) إذا حنّت إلى شكل مدينتها قبل دخول الريفيين البعثيين إليها لا تجد خيراً من الليل لتجول فيه بين أروقتها، "**فالليل وقت وحيد لرؤية مدينة يحبها هكذا مهجورةً، صامتةً، مظلمةً، لا يرى لافتات الولاء الأبدي للحزب والرئيس**"[22]. ففي الليل لا تقع عينا (رشيد) على أي أثر من آثار التلوّث الذي أصاب المدينة، ولا تقع عيناه على لافتات التأييد المطلق للقائد الأبدي التي افترشت حيطان الشوارع والأبنية؛ لأن العتمة تغطي الصور واللافتات بسوادها، فتخبئ الجرح النازف للمدينة.

وسيتحمل النسق الريفي أيضاً **كل الخلل الذي أصاب نظام النسق المدني، وتفاصيل حياته**، فالحزب الريفي "**صادر ما تبقى من حريات، أوقف تراخيص الصحف ومنع صدورها، عطّل البرلمان وفرض دستوراً جديداً يمنح الرئيس المفدّى صلاحيات مطلقةً، الذي قام فوراً بعد انقلابه باعتقال رفاقه ورئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي، ليموتوا في السجون بعد سنوات طويلة، احتفظ الحزب وحده بحق قيادة البلاد التي بدأت تتكيف مع قانون الطوارئ والمحاكم الاستثنائية، الرئيس... استأثر لنفسه بكل المناصب الحساسة، من رئاسة الجمهورية إلى قيادة الحزب الحاكم وقيادة الجيش، وحق تعيين قضاة المحكمة الدستورية وتسمية رئيس الحكومة وحل البرلمان**"[23].

فلم يعد شيء في المدينة يسير بقوة القانون، فالقانون الوحيد هو الحزب ومن يمثله، وهذا ما دفع كثيراً من شخصيات النسق المدني إلى التفكير بمغادرته، هرباً من الخلل الذي أصاب حياتهم، وبحثاً عن حيز آخر تسود فيه لغة القانون؛ فناريمان صديقة الأم المقربة كانت تفكر بالهجرة،

ورشيد كان يفكر بالهجرة، حتى سوسن المرحة التي تجسد حياتُها صورةً من صور كسر المعايير لم تستطع البقاء، واقترحت على أخيها رشيد الهجرة إلى كندا، بل اقترحت عليه الهجرة إلى أي مكان آخر؛ فـ" **لم تعد تحتمل سماع صوت إخوة الرفيق فواز ينشدون الأغاني الممجدة للحزب والقائد طوال الليل، تضيف بأنها لم تعد تحتمل رؤية مذيعي الأخبار في التلفزيون الرسمي يقرؤون النشرة الجوية كأنهم يعلنون الحرب، يذيعون أخبار الرئيس بجدّية تجعلها تفكر بتصدير العنف الكامن بالتهديد المباشر للجمهور الذي ينفعل حين يرى حرس الشرف يتقدم بخطىً بروتوكولية ثابتة أمام ضيوف الرئيس، توافق رشيد بأن ما يحدث الآن يشبه عفن الأقبية الذي يخط في بدايته لوحة رائعة، ويتمدد العفن ليغرق الهواء ويفسد الحبال الصوتية ويخنق الحناجر، تفكر كم سيمضي وقت طويل قبل أن تستعيد الحناجر الكسيرة قدرتها على الصراخ**"[24].

لقد غدا النسق الثقافي الذي يمثله الريف كالعفن الذي يتسلل إلى الهواء فيفسد الحبال الصوتية لجماعة/ المدينة حتى تختنق الحناجر، ويغدو الأمل في استعادتها لصوتها بعيد المنال إذا بقيت تحت سطوة النسق نفسه، ولذلك لا مناص من الهجرة.

ويتحمل النسق الريفي أيضاً **كل التشوهات التي أصابت شخصيات النسق المدني**؛ فبعد ظهور الحزب اكتشفت الأم "**أن أغلب رفيقاتها القديمات انتمين للحزب، يكتبن على صفحة دفاتر تحضيرهن الأولى كلمةً مأثورة للرئيس القائد، ويحفظن كل الأغاني التي تمجده، تنتبه لأول مرة أنهن أصبحن يشبهن الفقمات، يرتدين ملابس متشابهة، ويستخدمن العطور الرخيصة نفسها**"[25]، فمع هذا الحزب الريفي لا خصوصية لأي كائن، كل الشخصيات متشابهة كالفقمات، حتى روائحها متشابهة، وكأن الحزب علَّبهم، وحولهم إلى قطيع ذي ملامح كلية.

وسيتحمل النسق الريفي أيضا كل **العار الذي سكن جماعة المدينة** بعد أن طوقهم بحزب البعث، وقوّض نظامهم المدني لصالح نظامه الريفي فأصابه بالعار، فوجود سعاد (البنت المعاقة) داخل الأسرة كان يؤرق الأم كثيراً لأنه يشعرها بالعار، ولذلك كانت تتحاشى الاعتراف بها وتُخفيها عن عيون الضيوف، ولذلك استقبلت موتها ببرود شديد، يخفي فرحةً داخلية دفعتها إلى إحراق كل شيء يذكرها بها، ولكن (سوسن) أخت (سعاد) التي كانت تلاحظ إهمال أمها لأختها (سعاد) لم تمهل أمها طويلا _كما يقول الراوي_ " **كي تبصق عليها بقوة وتخبرها بأن العار لن يتركها وسيلحق بها إلى الأبد. [فـــــ]تمسح أمي بصاق سوسن بذهول وتغرق بصمتها... سنوات طويلة لا تفارقها صورة سوسن تبصق عليها، تنتبه لأول مرة إلى شعور العار الذي يحيط بها**

من كل جانب، تشعر بالرضا حين تكتشف أن الكثيرين مثلها يشعرون بالعار، زميلاتها وصديقاتها والناس في الشوارع، التي تتجاهل صور الرئيس رغم ادعاء أبديته"[26].

فالعار لم يعد شخصياً ولا فردياً ولا أسرياً، بل هو عار جماعي، عار الناس كلهم. هو العار الذي تراه في عيون المارة وهم يتحاشون النظر في صور الرئيس التي تملأ حيطان الشوارع، كأنه غير موجود، مع أن النسق الريفي البعثي قد أعلن أبديته. وفي مثل هذه الحال لا يمكن التعامل مع البصقة التي قامت بها (سوسن) في وجه أمها على أنها سلوك فرد تجاه فرد آخر، ولا هي بصقة تخص الأم وحدها، بل لقد تحولت إلى بصقة في وجوه الناس جميعاً، بصقة تملأ الوجوه بالعار. ولعل هذا هو ما جعل الأم تشعر بالارتياح والرضا حين اكتشفت أنها ليست وحدها التي يجللها العار، فالعار يطوق المدينة كلها، وكأنها أحست حينذاك أن البصقة لا تعنيها وحدها بل تعني النسق كله.

فالعلاقة بين الأم وابنتها المختلة (سعاد) تتماهى مع العلاقة بين الناس والرئيس البعثي، فـ(سعاد) خطأٌ وخللٌ نشأ في الأسرة؛ بسبب علاقة غير متكافئة وغير صحية، رضخت بها الأم، بنت النسق المدني، للأب القادم من الريف حاملاً معه كل ويلات النسق الريفي، فكان من ثمرة هذه العلاقة خلل جيني وتشوّه أصاب (سعاد)، غير أن الأم لم تعترف يوماً بوجود (سعاد)، ولم تتخلص منها أيضاً، فكانت تتعامل معها كأنها غير موجودة، وتخفيها عن أعين الناس،[27] ولكنها في داخلها تمتلئ بإحساس الخزي والعار لوجود ابنة مختلة تنتمي إليها. فبالآلية نفسها يمكن النظر إلى الرئيس البعثي على أنه نتاج علاقة غير صحية بين النسق الريفي والنسق المدني، سيطر بموجبها النسق الريفي على نظيره المدني، واستحوذ عليه وأبقاه تحت سطوته، فكان نتاج هذه العلاقة خلل جيني أصاب المجتمع وأدى إلى ظهور القائد البعثي الذي تمتلئ الشوارع بصوره، ويتحاشى الناس الاعتراف بوجوده أو النظر إلى صوره، حتى لا يروا خزيهم بأعينهم، ولكنهم كانوا من الداخل يشعرون بالعار يجلل حياتهم، فكأنّ العائلة تمثل معادلاً للمجتمع.

ولتتضح الصورة أكثر يمكن إقامة المقارنات الآتية:

انقياد الأم (بنت المدينة) لسلطة الأب(ابن الريف)⇐ أدت إلى ظهور خلل جيني فردي = سعاد

انقياد النسق المدني لسلطة النسق الريفي ⇐ أدى إلى ظهور خلل اجتماعي = القائد الأبدي

نموذج 1	يماثل	نموذج 2

العائلة	=	المجتمع
الأم	=	النسق المدني
الأب	=	النسق الريفي
البنت المختلة سعاد	=	القائد الأبدي

ويتحمل النسق الريفي أيضا ما حل بالنسق المدني من **خلل أفسد التلاحم الاجتماعي لشرائح المدينة المتعددة**، بتياراتها الثقافية وتنوّعها الديني، فبعد أن كان المجتمع الحلبي لوحةَ فسيفساء تكتسب جمالها من تنوع أحجارها وتجاورها وتراصفها على نحو وظيفي دال، أصبحت التنوعات ذاتها مصدر خطر وتهديد، وما عاد بالإمكان العودة إلى المشهد المتناغم القديم إلا من خلال الصور والذكريات، فسوسن وأستاذها المسيحي جان "**يستعرضان لساعاتٍ ألبومات صور العائلة، يروي جان بصوت رقيق تاريخ كل صورة، يشير لأبيه عيسى عبد المسيح مدرس الفلسفة ... الصديق الحميم لخير الدين الأسدي... صورة أخرى للأب مع رفاقه أدباء حلب مجتمعين حول خير الدين الأسدي في مقهى القصر، الذي لم ينقطع عيسى عبد المسيح عن زيارته صباح كل يوم جمعة، للقاء صديقه الفنان التشكيلي الشهير لؤي كيالي، يعود بعدها سيراً على الأقدام، يطيل الطريق ويصعد إلى شارع بارون، يقف للحظات أمام سينما رمسيس، يسجل مواعيد الأفلام الجديدة، يحجز بطاقتين لحفلة الساعة السادسة، ويكمل طريقه نحو باب الفرج**"[28].

إنه مشهد أخاذ لمجتمع تلتقي فيه الفلسفة مع الأدب مع الفكر مع الفن التشكيلي مع السينما، تلتقي المسيحية مع الإسلام، على نحو يدل على التنوع الإيجابي للنسق المدني، قبل سيطرة النسق الريفي/نسق الرأي الواحد (حزب البعث)؛ فما إن تمدد النسق الريفي حتى تغير المشهد كله؛ وأصبح (عيسى عبد المسيح) نفسه يخاف من المدينة، إلى درجة جعلته يقول: "**إنه لن يكون أحمق ليأتي بولد إلى شوارع هذه المدينة القذرة، التي تحولت إلى مكان للقتل، [و] أسهب بشرح خوفه الذي يتعاظم كل يوم، خوفه من المظليين، من المشايخ، من الكهنة والقساوسة الذين يراقبون غيابه عن الكنيسة... خوفه حين يرى مظلياً يسير في الشوارع، خوفه من مستقبل مظلم يضطره كل يوم لإثبات ولائه للحزب والرئيس والمخابرات**"[29].

فمع مجيء الحزب_ بصفته تجسيداً للنسق الريفي_ تحولت حلب من مدينة جميلة إلى مدينة قذرة، من مدينة تعدد وتعايش إلى مدينة قتل، من مدينة آمنة يمارس فيها الفرد ابن المدينة حياته ورغباته بحرية، فيتنقل من فكر إلى رسم إلى سينما، لتغدو مدينةً يخاف فيها الفرد المدني نفسُه من

المظليين (التجسيد الأمثل والأعنف والحاد للحزب)، ومن الشيوخ، ومن القساوسة. والأشد من هذا كله خوف ابن المدينة من آليةِ الإكراه التي يتعرض لها؛ إذ يضطر كل يوم أن يثبت ولاءه للجهات نفسها المسؤولة عن خراب مدينته.

ويتحمل النسق نفسه أيضا كل **الفساد الذي نخر في شبكة العلاقات بين أفراد مجتمع المدينة**، إذ انعدمت العلاقات الطبيعية، وحل محلها الشذوذ، الشذوذ الاجتماعي والأسري والأخلاقي، فعلى صعيد المجتمع تبدو الشخصيات غير معبرة عن وظائفها المنوطة بها، وكأن هناك خللاً ما أو فصاماً بين الوظيفة ومعناها، فالجندي الذي يناط به حماية البلد هو الذي يسلبها، فجنود حزب البعث عندما أعلنوا الانقلاب والاستيلاء على السلطة اقتحموا مؤسسات الدولة والمجتمع المدني ونهبوا ما فيها [30]، والقائد الذي يفترض به حماية كرامة المواطنين هو الذي يهينهم[31]، والشيخ الذي يفترض به تقريب الناس من الله هو الذي يعتدي على نزار جنسيا[32].

ويسري الأمر ذاته على الصعيد الأسري؛ فعلاقة الأم بابنتها سعاد علاقة شاذة غير سوية، إذ تُنكر وجودها كأنها لم تكن، بل ولا توليها أي اهتمام، وتنتظر اللحظة التي ستتخلص فيها منها؛ لأنها عبء على كاهلها يشوّه الصورة المثالية التي رسمتها لعائلتها، وعلاقة الأم بابنتها الأخرى سوسن غير سوية أيضا، إلى الحد الذي دفع سوسن إلى البصق في وجه أمها[33].

وعلى الصعيد الأخلاقي تبدو الشخصيات مُنحلّةً من أي وازع أخلاقي أو قيمي، فالأخ متعلق بأخته وينام في سريرها، والأخت تعرض نفسها عاريةً على المصور[34]، وتعرض نفسها على أستاذها، وعلى كثير من الرفاق الحزبيين[35]، والأخ الآخر شاذ أيضاً، يعيش مع شاذ آخر حياة زوج وزوجة[36]، والرفاق الحزبيون والرفيقات الحزبيات وكذلك أبناء الضباط ينغمسون في ملذاتهم بلا أي وازع أخلاقي أو اجتماعي[37]. إنه مجتمع لا تكاد تجد فيه علاقة سوية؛ فالنسق الريفي عبر ممثله (حزب البعث) هو المسؤول الوحيد عن تشويه بنية العلاقات الأساسية للمجتمع المدني.

ولعل أهم نتيجة يتحملها النسق الريفي تجاه النسق المدني أنه **حرم رجاله من الفحولة أو الذكورة**، وأحالهم إلى مجموعة من المخصيّين الذين كادوا ينسون رجولتهم، فَفَجأةً وأثناء حديث يومي عادي يكتشف أحد أبناء المدينة في منولوج ذاتي أنه لم يفكر، لا هو ولا أي فرد من عائلته، في بناء أسرة:" **كان اكتشافًا مذهلاً بالنسبة إلي أننا جميعا لم نفكر بعائلة، كأن وضعنا كأناس وحيدين هو شيء طبيعي لا يستدعي التساؤل**"[38].

أي مدينة تلك التي لا يفكر أفرادها بتأسيس أسرة!! أي مدينة تلك التي لا يشعر رجالها بضرورة ممارسة شعور الأبوة!! أي مدينة تلك التي يكتفي أهلها بأنفسهم، بوحدتهم!! إنها مدينة آيلة

إلى زوال! فالإنجاب ضمان البقاء والاستمرار، ورمز العطاء والخصب والإنتاج، ونسيانه أو تناسيه مؤشر على الموت الذي يحل بالمدينة، وعلى الإحساس بالعقم الذي يغلف الحياة كلها.

وهكذا يمكن تلخيص مواقف النسق المدني من النسق الريفي، كما جهدت النصوص أن تقدمه، في نقطتين جوهريتين: الأولى أن النسق الريفي يمثل وجه السلطة القهرية (الأسدية البعثية وحاضنتها، السلطة التي غيرت قواعد العلاقة بين المدينة والريف؛ فجعلت الريف متناً، بعد أن كان هامشاً، وجعلت المدينة هامشاً، بعد أن كانت متناً؛ كان النسق المدني هو المحرك الأساسي لحركة المجتمع، والريف تابعٌ له، فأصبح النسق الريفي هو المحرك الأساسي للمجتمع، وهو الذي يقود حركة الناس والجماعات.

والنقطة الأخرى أن حزب البعث/ممثل النسق الريفي جلب الخراب إلى النسق المدني على أكثر من مستوى؛ على صعيد العلاقات الاجتماعية والعائلية والمهنية، وعلى مستوى الأخلاق الفردية والجماعية، فقضى على تاريخ طويل من التطور الحضاري استغرقه النسق المدني ليصل إلى ما وصل إليه.

مختصر البحث بالانجليزية

Power and the theme biases in Narrative

(Civil and rural patterns)

Search Summary

This study is within the Framework of narrative fiction communities, and its theme linked to the textual city, as it represents a form of awareness of the real city. The main objective is to detect the biases of the civil pattern towards the rural pattern as a representative of the authority.

The study is in addition to studies that monitor the image and nature of Syrian society during the BAATH Party rule, but what distinguishes it is that it monitors this nature from a purely narrative point of view, in which the subjectivity is mixed with the subjectivity. Based on this perception, the study is based on the frontiers of literary sociology, as it is based on two axes: the textual societies in the narrative, on the one hand, and the human societies of the real city on the other.

The study focused on (No Knives in the Kitchens of this City) by Khalid Khalifa in its main blog count for her practical work, and added, from time to time, examples of

two novels in the same context: (Good morning, war) by Maha Hassan, and (indelible glances) by Mahmoud al-Jassim, in order to emphasize an idea/scene when needed.

From the first look of the texts, it has emerged that there is a biased attitude adopted by the city community towards the countryside, namely its sharp rejection of all representations of the rural pattern, all (what, who) belongs to it, and even anyone who enters into a relationship with it, which embodies a sharp cultural pattern. The study found that the manifestations of this situation and its effects should be analysed.

The study concluded by summarizing the positions of civil pattern from rural pattern, as appeared in the narrative texts, in two fundamental points. The first is that the rural pattern represents the face of the compulsive power (Baathist Lionism) and its incubator, the authority that changed the rules of the relationship between the city and the countryside; after being marginal, and the city made a margin, after it was body. The civil pattern was the main driver of the community movement, and the countryside became it's own, and the rural pattern became the main driver of society, leading the movement of people and groups.

The other point is that the Baath Party/representative of the rural format has brought havoc to the civilian pattern on more than one level, both in terms of social, family and professional relations, and at the level of individual and collective morality, eliminating a long history of civilizational development that has taken the civil pattern to its level.

الحواشي

[1] بعد عام 2011م.

[2] خليل، لؤي، النسقان المدني والريفي في السرد الروائي (دراسة في تحيزات الصورة)، مجلة تبين، العدد 29، 2019، ص122.

[3] خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، دار الآداب، بيروت، 2013، ص24.

[4] حسن، مها، عمت صباحا أيتها الحرب، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2017، ص348-349.

[5] الجاسم، نظرات لا تعرف الحياء، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2015، ص133-134.و(الحشكل) صفة تستعمل في اللهجة الحلبية لكل ما فيه دلالة الوضاعة والدناءة والسوقية.

[6] خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص15.

[7] المصدر نفسه، ص24.

[8] كانت القبائل العربية في الجاهلية تمارس فعل الخلع تجاه أي فرد من أفرادها يخرج على قوانين القبيلة، وهي إذ تفعل ذلك تعلن أنها غير مسؤولة عن تصرفاته، وأن سلوكه لا يمثلها، وأنه لم يعد تحت حمايتها، مما يعني أنها لن تطالب بدمه، أو الثأر له، إن وقع عليه أي مكروه.

[9] خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص32.

[10] المصدر نفسه، ص109.

[11] هينبوش، رايموند، تشكيل الدولة الشمولية في سورية البعث، ترجمة: حازم نهار، رياض نجيب الريس، بيروت، 2014. ص345.

[12] فان دام، نيقولاوس، الصراع على السلطة في سوريا، (الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة)، مكتبة مدبولي، 2006. ص42. وينظر كذلك: هينبوش، رايموند، سورية ثورة من فوق، ترجمة: حازم نهار، رياض نجيب الريس، بيروت، 2011، ص114-117.

[13] الجندي، سامي، البعث، دار النهار، بيروت، 1969، ص38.

[14] فان دام، الصراع على السلطة، ص39.

[15] آثرت أن أنقل النص على طوله بسبب أهميته.

[16] الجندي، البعث، ص38-40.

[17] خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص18.

[18] المصدر نفسه، ص25-26.

[19] الجاسم، نظرات لا تعرف الحياء، ص34.

[20] خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص23-24.

[21] المصدر نفسه، ص28.

[22] المصدر نفسه، ص40-41.

[23] المصدر نفسه، ص19-20.

[24] المصدر نفسه، ص41.

[25] المصدر نفسه، ص18.

[26] المصدر نفسه، ص39.

[27] المصدر نفسه، ص37-38.

[28] المصدر نفسه، ص46.

[29] المصدر نفسه، ص46-47.

[30] ينظر: المصدر نفسه، ص25.

[31] ينظر: المصدر نفسه، ص35.

[32] ينظر: المصدر نفسه ص95-96.

[33] ينظر: المصدر نفسه، ص39.

[34] ينظر: المصدر نفسه، ص35-36، 155.

[35] ينظر: المصدر نفسه، ص42، 80.

[36] ينظر: المصدر نفسه، ص69-70.

[37] ينظر: المصدر نفسه، ص50، 60-61.

[38] المصدر نفسه، ص253-254.

المصادر والمراجع

الروايات

1. الجاسم، محمود، **نظرات لا تعرف الحياء**، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،2015.
2. حسن، مها، **عمت صباحاً أيتها الحرب**، دار المتوسط، إيطاليا، 2017.
3. خليفة، خالد، **لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة**، دار الآداب، بيروت، 2013.

الكتب

1. الجندي، سامي، **البعث**، دار النهار، بيروت، 1969.
2. فان دام، نيقولاوس، **الصراع على السلطة في سورية** (الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة)، مكتبة مدبولي، 2006.
3. هينبوش، رايموند، **تشكيل الدولة الشمولية في سورية البعث**، ترجمة: حازم نهار، رياض نجيب الريس، بيروت، 2014.

المجلات

1. خليل، لؤي، **النسقان المدني والريفي في السرد الروائي** (دراسة في تحيزات الصورة)، مجلة تبين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد 29، 2019.